صورة المرأة في المجموعة القصصية "عيناها" لعلياء الكاظمي

دكتورة/ حنان غازي شلاح المطيري
دكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها،
قسم اللغة العربية، وزارة التربية
دولة الكويت

الملخص:
يسعى هذا البحث للوقوف عند صورة المرأة في مجموعة (عيناها) للقاصة الكويتية علياء فاضل الكاظمي، والتي تضمنتها المجموعة، وإظهار الجوانب الفكرية والاجتماعية التي تحيط بهذه الصورة، فنجد في هذه المجموعة تنوعا في صورة المرأة وفقا لموقعها الاجتماعي، فهي: الزوجة، الأم، الابنة، الصديقة، الحبيبة.
لقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في تناوله لصورة المرأة في المجموعة القصصية، والتي جاءت في مجملها صورة حزينة لواقع المرأة، كما أن القاصة علياء الكاظمي ظهرت لديها سمات الكتابة النسوية في نقدها للواقع الذي تعيشه المرأة على اختلاف موقعها الاجتماعي.
كلمات مفتاحيه: عيناها، القصة القصيرة، المرأة، علياء الكاظمي.

المقدمة:

يسعى هذا البحث للوقوف عند صورة المرأة في مجموعة (عيناها) للقاصة الكويتية علياء فاضل الكاظمي[1]، والتي تضمنتها المجموعة، وإظهار الجوانب الفكرية والاجتماعية التي تحيط بهذه الصورة، حيث نضجت تجربة القاصة الفكرية في هذه المجموعة، ونضجت كذلك أدواتها الفنية، فشكلت القاصة صوتها الخاص في الأدب الكويتي.

يتضمن الكتاب أربعين قصة قصيرة، سعت القاصة فيها لتعبير عن هموم المرأة، فهي بطلة القصص، وشكلت الكويت مسرحا لجميع أحداث القصص، كما جاءت لغة المجموعة سهلة سلسلة.

وقد اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة هذه المجموعة القصصية، وقد فرضت طبيعة الدراسة التقسيم التالي:

- التمهيد
-أولا: صورة الزوجة.
-ثانيا: صورة الأم.
-ثالثا: صورة الصديقة
رابعا: صورة الابنة
خامسا: صورة الحبيبة.

[1] كاتبة كويتية، تحمل شهادة التمويل من كلية العلوم الإدارية جامعة الكويت، عضو في رابطة الأدباء الكويت، لها أعمال روائية مثل: يبقى الأمل ينبض بالقلوب، حبيبة، بين قلبين، بلا هوية، جمان، يا بعده، وسرقوا أيام عمري، ولم يرحمني أحد، ظننت العشق كنزا، بين أنف وشفتين، وتحولت أعمالها الروائية إلى مسلسلات تلفزيونية، معجم تراجم أعضاء رابطة الأدباء الكويتيين، طلال الرميضي، الكويت: ذات السلاسل،(٢٠١٥)، ص ٦٠

التمهيد:

تعد الشخصية من أهم عناصر القصة، لأنها هي التي تجسد فكرتها، والحدث لا يتحرك أو يتولد إلا من خلالها، وعنصري الزمان والمكان يتخذان دلالتهما وقيمتهما من خلال علاقتهما بالشخصية[1]، وللشخصية أبعاد يقسمها النقاد[2] إلى أربعة أقسام وهي: البعد المادي، والبعد النفسي، والبعد الاجتماعي، والبعد الفكري (الأيدلوجي)، وعلى أهمية هذه الأبعاد، فإن توافرها جمعيا في القصة القصيرة ليس من الضرورة، لأن طبيعة القصة القصيرة لا تتحمل الإسهاب في رسم الشخصيات، وعليه يركز القاص في القصة القصيرة على البعد الذي يخدم فكرة القصة[3].

تعدد الشخصيات في القصة القصيرة إلى شخصية رئيسية وشخصية ثانوية بحسب دورها في القصة القصيرة، ونظراً لطبيعة القصة القصيرة، فأن معظم الأحداث تدور حول الشخصية الرئيسية، وتكون الشخصيات الأخرى مساعدة لها[4].

القارئ لهذه المجموعة يجد أن القاصة علياء الكاظمي تجعل المرأة هي بطلة قصصها، و حتى لو كان السارد بصوت الرجل، إلا أن حديثه يكون حول المرأة، يدور في فلكها، لا يستطيع الفكاك من تأثيرها على أحداث حياته.

أنني في هذه الدراسة سأقف عند صورة المرأة في مواقعها الاجتماعية، هي: زوجة، الأم، الصديقة، الابنة وصورة الحبيبة، وذلك لنتعرف على ملامحها في قصص القاصة (علياء الكاظمي).

أولا: صورة الزوجة.

نجد بطلة قصة (صدفة) تتزوج من رجل بمواصفات لا يمكن لفتاة أن ترفضها، عريس ثري من عائلة مرموقة، لكن الواقع غير ذلك، فقد كانت تعاني من إهماله لها، كان هذا الزوج ينتقدها في كل تصرفاتها، تقول الساردة: " هكذا هو عبدالله...ينتقدها بقسوة في كل ما تقوم به، ينتقد تصرفاتها، مفرداتها في الكلام، طريقة لبسها، يصر على أن تريه

---

[1] انظر: الفريح، هيفاء(٢٠٠٩)، تقنيات الوصف في القصة القصيرة السعودية١٤٠٠-١٤٢٠، بيروت الدار البيضاء: النادي الأدبي بالرياض و المركز الثقافي العربي، ط١، ص٤٦

[2] انظر، القصة والراوية، عزيزة مريدن (١٩٨٠) دمشق:دار الفكر، ص٢٩

[3] انظر، تقنيات الوصف في القصة القصيرة السعودية١٤٠٠-١٤٢٠، ص٥٠-٥١

[4] انظر، القصة القصيرة نظريا وتطبيقا، يوسف الشاروني (١٩٧٤) مصر:دار الهلال، ص٦٩

الزي الذي سترتديه كلما خرجا معا في مناسبات نادرة، إنه لا يثق في ذوقها... شيء ما يفصله عنها، يعاملها بترفع وكأنها جارية اشتراها بماله، لم يحدثها أبدا عن مشاعره أو مكنونات نفسه، بل إنه بالكاد يجالسها، حتى علاقتهما الزوجية بدت فاترة باردة رغم أنهما في بداية زواجهما"[1].

هذه الزوجة التي تقدم تنازلات من أجل الزوج ثم تتصدم بخيانته لها، وهنا القاصة تريد القول بأن على المرأة أن تحرص على تحقيق طموحاتها و كينونتها، وأن ترتبط بالشخص الذي يحتويها، ولا تنتظر تحقيق أحلامها عن طريق الزواج من شخص ثري يفرض عليها تقديم تنازلات تحد من حريتها ويمارس عليها الحرمان العاطفي.

هذا الحرمان العاطفي يعود مرة أخرى في قصة (شراهة) حيث نجد البطلة تعاني من الشراهة في الأكل، يتضح أن سبب الشراهة مرجعه الزوج، تقول الساردة: " لطالما كانت مرهفة الحس والمشاعر، ولطالما حركتها كلمات الحب والغزل..ولطالما شعرت بحاجتها الماسة إلى سماع كلمات الإطراء كحاجة الأرض الجافة إلى قطرات المطر...لكن زوجها رجل عملي إلى أقصى حد تشغله الأرقام و الحسابات وهو رجل أعمال ناجح معروف ولديه شركة ذائعة الصيت إلا أنه لا يعترف بالكلام الجميل..أنه يقول لها إن الحب الحقيقي تثبته الأفعال لا الأقوال "[2].

وعندما تطلبت منه أن يتغير، رفض ذلك واتهمها بتأثر بالأفلام العربية، مما جعلها تجد في الأكل وسيلة لتعويض هذا النقص، لتنتهي القصة في يوم عيد الزواج، في أمسية داخل المطعم تحضر معها علبة عشائها و يطلب هو طبقه، لكنه يتركها من أجل الحديث عبر الهاتف، ليعود إلى الطاولة و يجد أنه تناولت طبقته، تركته ورحلت.

وهنا ترجع القاصة أن السبب الحقيقي للطلاق يرجع للحرمان العاطفي، فنجاح الزوج في عمله، والمال الذي يجنيه ليس كافيا لنجاح هذا الزواج، وقد صرحت عبر سردها أن المرأة عبارة عن قلب مرهف الإحساس بحاجة إلى الكلام الطيب، " لمن أليس الكلام مجانيا ؟ ما الذي ستكلفه كلمة جميلة منه تدخل السرور إلى قلبها المرهف الحس فتبدد وحشة روحها المشتاقة؟ لم يبخل الرجل على امرأته بالكلام الطيب ويعتبره عارا

[1] المجموعة القصصية، ٢٣

[2] المجموعة القصصية، ص ٣٦

ومنقصا لرجولته ؟ إن المرأة أحيانا قد تعاف رجلا صالحا محترما لتجري وراء رجل يخبر الكلام المعسول..والحب كالوردة الرقيقة التي إن لم نقم بسقيها ستجف وتتحول إلى أشلاء جافة تذروها الرياح... والاهتمام يسقي الحب والكلمة الطيبة تحيي القلب"[1].

وتكرر هذا الحرمان العاطفي في قصة (العروس)، حيث تشاهد الطفلة العروس تبكي ليلة زفافها، وعندما سألتها عن سبب البكاء قالت لها: "اسمعي...سأنصحك نصيحة...عندما تكبرين إياك أن تتزوجي برجل لا تحبينه...كي لا تصبحي مثلي..أفهمت؟ "[2]، كبرت هذه الطفلة وأصبحت امرأة، أحبت رجلا ليس من دينها ومستواها الاجتماعي، رجل من جنسية والدتها، لكن الأب رفض هذا الزواج، وأصرت هي لا عدم الزواج لكي لا تصبح مثل زوجة ابن عمها، عروس تبكي في ليلة زفافها.

نجد في قصة (الخط العميق) معاناة من نوع آخر، فهذه بطلة القصة تعاني من دقة ملاحظ زوجها، مما جعلها متوترة طوال الوقت حتى لا تسمع منه تعليقات حول شكلها، تقول الساردة: " وحولني طبع زوجي الصعب إلى امرأة متوترة أشعر بالقلق طوال الوقت، أصبحت مهووسة بشكل الخارجي، وأفعل ما بوسعي لأن أكون كاملة تماما..فأظافري دائما مصقولة ومطلية...أنام كل ليلة بعد أن أغرق وجهي بالكريمات المغذية... ملابسي دائما على أحدث صيحة...أقص أطراف شعري بانتظام لأن زوجي لا يفوته حتى تقصفه..."[3].

ظهر لها خط عميق بين حاجبيها مما جعل زوجها يعلق عليها، بحثت عن الحل في عيادة تجميل، أدت الزيارات المتتالية إلى العيادة إلى نفخ الوجه بكاملة، حتى أصبح وجهها وجه امرأة أخرى، لقد أحس الزوج بوقع المصيبة التي كان سببا فيها، وعندما ظهر له خط بين الحاجبين أصرت الزوجة على حجز موعد له عند عيادة التجميل رغبة منها بتشفي منه.

تختلف الزوجات في ردت فعلهن حول خيانة الزوج، فمنهن من تطلب الطلاق، وتفكر بالبدء بحياة جديدة، وأخرى تقرر الصمت والتجاهل حفاظا على بيتها، على اعتبار أن

---

[1] المجموعة القصصية، ص ٣٦

[2] المجموعة القصصية، ص ٤٩

[3] المجموعة القصصية، ص ٤١

الخيانة نزوة، وأنها هي الأساس، وأخرى تلجأ لسحر، ولقد كانت هذه هي مضامين القصص: اعتداء، صفقة، سحر، لمياء عبدالسلام.

فقصة (اعتداء) تدور حول سكرتيرة أحبت مديرها المتزوج ، تحاول الاستفراد بحبه، فيتزوجها سرا، ثم يعرف الجميع بهذا الزواج، فطلب زوجته الطلاق، تقول الساردة: "كانت تلك الأخبار هي أجمل ما سمعت طوال حياتي، سيتحقق حلمي أخيرا... ولكن فرحتي لم تدم، فقد فاجأني عبدالرحمن بحزنه الشديد بسبب غضب زوجته، بألمه الكبير لأنها تركت البيت، وأنه اشتاق إلى طفليه...بل لمحت دموعا في عينيه"[1].

لتنتهي القصة بطلاق السكرتيرة، لأنها لم تكن سوى نزوة في حياته، أن حبه الحقيقي كان لزوجته وطفليه، وهنا القاصة تشير صراحة أن الزواج الثاني محكوم بالفشل، لأنه في نظرها اعتداء على حياة امرأة أخرى، و أن الزوجة الثانية ستكون بنظر المجتمع خاطفة الرجال، وزواجها عبارة عن نزوة، وأنه سيتم التخلي عنها من أجل الزوجة الأولى .

في قصة (صفقة) نجد البطلة امرأة جميلة تتزوج من رجل طموح، لكنه لم يكن يحبها، تقول الساردة: " الوحيد الذي تمنت أن ترى صدى جمالها في عينيه... الوحيد الذي تمنت أن تسمع منه كلمة طيبة واحدة، الوحيد الذي كانت مستعدة للتضحية بعينيها من أجل...زوجها...النائب في مجلس الأمة... الرجل الذي تزوجها ليعزز وضعه الاجتماعي وليصل إلى المجلس من خلال مصاهرته لعائلتنا العريقة و الكبيرة...كان والدها ذا نفوذ كبير في الكويت،وله معارف كثر... وعندما تقدم بسام لخطبتها عرف أباها أن مستقبلا سياسيا كبيرا بانتظاره...لقد أحبه أبوها قبل أن تحبه هي...أحب ذكاءه وطموحه وعرافة أصله"[2].

لقد اكتشفت خيانته لها، فهل تخبر والدها ؟ وخصوصا أن الانتخابات على الأبواب، لكنها تصرفت وكأن شيئا لم يتغير، فاز الزوج بالانتخابات، لكنه تزوج سرا، ظلت على تجاهلها للأمر، وقررت الإنجاب، تقول الساردة: " لقد نالت عائلة...وأولادا...وجاه...نالت قصرا...وخدما ومالا...نالت مكانة اجتماعية...لكنها لم

[1] المجموعة القصصية، ص ٥٤

[2] المجموعة القصصية، ص ٦٩

تتل قط حب بسام...لم تتل قط قلبه... لقد اكتفت بحبها هي له... أحست أن حبها له يكفيها و يغنيها عن أي شعور أخر...إن في قلبها صحراء جرداء...قاحلة...حارقة...تربتها قد تصدعت من شدة جفافها... "[1].

وفي اللحظة التي قررت فيها الانفصال يدخل الزوج الغرفة، لتصدمه بقرارها، وعندما سألها عن السبب، اعترفت له أنها على علم بزواجه السري، و أنها تستحق أن يحبها رجل، فاعترف لها بأنه قد طلق زوجته الثانية وأنها كانت نزوة.

في قصة (سحر) تكتشف الزوجة علاقة زوجها بامرأة أخرى، وتقول الساردة: " أزفر بحرقة وحسرة وأنا أسترجع ذلك اليوم الأسود الذي عرفت فيه أن لزوجي علاقة بامرأة غيري، لم ينكر عندما واجهته، بل اعترف لي أنها نزوة ندم عليها أشد الندم ووعدني بتركها فورا. وحاول مراضاتي طويلا إلى أن تناسيت تلك الحكاية التي لم تنته، فتلك المرأة دأبت على ملاحقته رغم صده لها ثم اكتشفت أنه عاود علاقته بها...وعرفت بذلك أيضا...وواجهته...وتكرر نفس السيناريو اليائس...واتصلت أنا بتلك المرأة بنفسي وهددتها، وقالت لي بمنتهي الوقاحة إنها لن ترك زوجي وأنها تحبه !!"[2].

هذا الأمر دفعها للاستنجاد بصديقتها التي نصحتها بالذهاب إلى الشيخ (سعد) ليكشف لها المستور، وقام هذا الشيخ بالطرح الكثير من الأسئلة عليها، و خيرها بين التأثير على المرأة أو على الزوج، و لأن المرأة بعيدة والزوج أقرب كان هو الأسهل، وأنها فقط تحتاج إلى ربطه بالمحبة كي لا يرى غيرها، ترددت لكن رأت أحمر شفاه على قميصه، نفذت طلبات الشيخ، وأصبح الزوج رجل ضعيف واهن وكأنه عجوز، ترك عمله، ثم قررت فك السحر، لكنها عجزت عن إيجاد الحل لفعلتها، فتوفي الزوج، لتبدأ بلوم نفسها، تقول الساردة: " وعدت باكية، وأنا ألوم نفسي...كيف فعلت ما فعلت لقد خسرت دنياي وخسرت آخرتي وخسرت نفسي وعندما دخلت البيت أدركت أنني خسرت زوجي أيضا...فقد مات "[3].

---

[1] المجموعة القصصية، ص ٧٠

[2] المجموعة القصصية، ص ٧٩

[3] المجموعة القصصية، ص ٨٣

تروى قصة (لمياء عبدالسلام) بلسان (طلال)، هذا المهندس الذي تعين في شركة (لمياء عبدالسلام)، هذه السيدة الناجحة كثرة حولها الأقاويل، يقول السارد:" مر عام على عملي في الشركة...ثم بدأت تلك الأقاويل تنتشر... إن السيدة لمياء عبدالسلام تعاني من مشكلة عائلية كبيرة... لقد اكتشفت أن زوجها متزوج من أخرى في السر وثارت ثائرتها عليه... وازدادت الأقاويل... لقد طلبت الطلاق من زوجها...إنها لا تقبل بأن تكون في وضع _ ليست هي من يتزوج زوجها عليها فتقبل... وكلام كثير عن قضية طلاق رفعتها على زوجها بالمحكمة "[١].

وبعد الطلاق قام زوجها السابق بجلب زوجته لتسكن في المنزل الذي كان بالمناصفة مع (لمياء) للانتقام منها، فطلبت من (طلال) الزواج على أن يكون الزواج صوريا ؛ حتى تذيق طليقها مما أذاقه إياها، تم الزواج وانتقل للعيش في المنزل، ونجحت خطتها، وتغلبت الغيرة على زوجها السابق فطلق زوجته وأراد الرجوع إليها، وأخبرت (طلال) بانتهاء الصفقة، لكنه رفض لم يرد تطليقها، وخاض من أجلها معارك مع زوجها السابق وأبنائها وأهله الذين استنكروا هذا الزواج، وموظفي الشركة الذين اعتبروه انتهازيا، لكنه ظل زوجها.

عبرت القاصة عن موقفها من الزواج الثاني صراحة، ورفضها له، وأنه تجربة محكومة بالفشل، لكنها في هذه القصة كان واضحا،وكان ذلك على لسان (لمياء) حيث قالت لمياء:" لأنني لأحب الشراكة في شيء...الزواج في نظري هو رجل واحد مع امرأة واحدة فقط...لا أحب أن تشاركني أخرى في رجلي هل فهمت ؟ وطلال الآن رجلي... ولا تشاركه حياته امرأة غيري..."[٢]

تتعرض الزوجة للعنف من الزوج، ويعرف العنف ضد المرأة بأنه "أي عمل، أو تصرف عدائي، أو مؤذٍ أو مهين، يرتكب بأي وسيلة، وبحق أية امرأة لكونها امرأة، ويخلق لها معاناة جسدية، أو نفسية، أو جنسية بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، وذلك من خلال الخداع، أو التهديد، أو التحرش، أو الإكراه، أو العقاب "[٣].

---

[١] المجموعة القصصية، ص ٨٦

[٢] المجموعة القصصية، ص ٩٠

[٣] العنف ضد المرأة، سهيلة محمود (٢٠٠٥) دار المعتز للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ص٢١

تصور قصة (الصفعة الأولى) عنف الزوج لزوجته، تحكي الساردة بصوتها، وتقول: " حدث ذلك بعد خمس سنوات من زواجنا...كنت وقتها أما لطفلين...وأثناء شجار حاد على موضوع لا أذكره ارتفع صوتي الحاد في وجه زوجي لأفاجأ بكفه الغليظة تهوي على خذي مصدره طرقعة عالية كادت تصيب أذني اليمنى بالصمم"[١]، أعتذر الزوج، لكن بعد ثلاثة أشهر، ونتيجة لاعتراض الزوجة لطرد السائق، مارس العنف الذي مارسه بالسابق، وفي هذه اللحظة أيقنت الزوجة أن الصفعة الأولى كانت مقدمات لصفعات أخري، لذلك قررت الطلاق، وهنا نجد القاصة ترفض العنف الأسري، وأنه لا يمكن للمرأة البقاء مع رجل معنف، يضربها.

في قصة (بين زوجين) نجد الزوجان كان بينهما علاقة حب،أثمرة عن زواج على الرغم أنهما من مذهبين مختلفين، بدأت المشاكل و العنف بينهما، حتى أصبح الجيران يشتكون لصاحب العمارة، " صرخت نوف كلبؤة جريحة: زوجي ؟ أي زوج ؟ إنه لا يعطيني حقوقي الزوجية، ويضربني بوحشية إنه يحاول قتلي، لقد خنقني... انظر إلى آثاره أصابعه حول عنقي.."[٢]، تطر الخلاف بين زوجيين، وأدى ذلك إلى الطلاق، وأكشف صاحب العمارة وجود (سحر) في الشقة التي كان الزوجين السابقين فيها، وهنا أرجعت القاصة الطلاق لعمل سحر تفريق بين الزوجيين.

الملاحظ هنا أن صور الزوجات في هذه المجموعة القصصية غالبا ما كانت حزينة، كن تعيسات، وهذا مرجعة لفقدان الزوجة للحب الحقيقي، هنا القاصة تعبر صراحة على أن أساس الزواج هو الحب، وأنه الرابط الأسمى، و ليس إنجاب الأبناء الذي يعني رابط المسئولية، فأي زواج يكون بدون حب فهو زواج تعيس، كلا الطرفين يعاني ويتألم لوحده، حيث يوجد التذمر واللامبالاة.

نستثنى من ذلك قصة (جموح) التي تصور خيالات فتاة ورفضها لهذا الزواج المبني على العادات و التقاليد، فالأب يزوجها من ابن عمها، حيث خطبه لها، مما كان له الأثر النفسي عليها،تقول الساردة: " كنت أفكر بهذا الرجل الذي أصبحت زوجته رغما عني وعنه أيضا..ابن عمي الذي خطبه أبي لي...يا لها من كارثة...إن تلك الحقيقة

[١] المجموعة القصصية، ص ٥٩

[٢] المجموعة القصصية، ص ١٩٦

كانت تزلزل كياني كلما تذكرتها...أنا التي أملك اعتزازا لا يضاهيه شيء وجمالا لم يكن له مثيل بين قريباتي يقوم أبي بعرضي على رجل ليتعطف علي ويتزوجني "[1].

لكنها عاشت معه بسعادة، لأن الزوج استطاع فهم زوجته، وكبح جموحها، إذن القاصة أرادت القول أن الأمر متروك بيد الزوج، فعدم تفهم الزوج لاحتياجات زوجته سيكون السبب الرئيسي لفشل هذا الزواج.

ثانيا: صورة الأم.

عندما يكون ماضي الأم سيئا، كأن تكون راقصة، فهذا الأمر يؤثر في فرص زواج ابنتها، لأن المجتمع لا يغفر ماضي المرأة وإن تابت، تحكي قصة (صورة) عن فتاة جميلة و متعلمة، ورثت جمال أمها العابدة الزاهدة، التي سخرت حياتها لابنتها الوحيدة بعد طلقها، تكبر الفتاة و لم يتقدم أحد لخطبتها، وعندما تعينت في وظيفة تقدم لها زميلها لخطبتها وأخبرها أنه سيخبر أهله، لكنه بعد ذلك اختفى، و عندما تواجهها صارحها بماضي والدتها، تقول الساردة: "بعد أسبوع جاء إلى العمل...ورفعت إليه عينين متلهفتين...فإذا به يصد عنها ويدخل إلى مكتبة غير آبه بها....

جزعت وجرت وراءه غير مكترثة بنظرات زملائها الساخرة...

سألته وصوتها يتهدج: ماذا حدث ؟

ونظر إليها بقسوة وقال: لقد خدعتني...

وسألته وهي تكاد تنهار: كيف خدعتك؟

وبقسوة أشد: لقد أخفيت عني حقيقتك...

وقالت وصبرها يكاد ينفد: أي حقيقة ؟

فقال وكأنه يفجر قنبلة في وجهها: حقيقة أمك...

وصدمت..وسكتت لوهلة...ثم تساءلت: ما بها أمي ؟

وكأنه ضاق بغبائها فهتف بها: لم تخبرني إنها كانت راقصة مشهورة في بلدها، وأن أباك أحبها و تزوجها رغما عن أهله، ثم طلقها لأنه لم يستطع تحمل ماضيها و..."[2].

[1] المجموعة القصصية، ٣٣

[2] المجموعة القصصية، ص ١٦

ولتأتي المفارقة في نهاية القصة، حيث تجد بطلة القصة زميلها يتزوج من إحدى زميلاتها أيام الجامعة، هذه الزميلة كما تصفها الساردة: " تلك الفتاة اللاهية العابثة... التي تعتبر أمها من أرقى عائلات المجتمع وأطيبها سمعة، في حين عاشت ابنتها علاقات لا حصر لها..."[1].

فهذه القصة تصور مقاييس اجتماعية، المهم هي الأم و ليست البنت أثناء الارتباط، حتى إن تابت الأم، و أصبحت زاهدة وعابدة، لا تفارق سجادة الصلاة، في مجتمع لا يغفر ماضي المرأة.

صورة الأم في قصة (صدفة) هي تمثل صوت المجتمع،الذي يرفض طلاق البنت، فهذه البطلة تتذكر كلام أمها و نصيحتها لها، "يا ابنتي أنت محسودة على النعيم الذي تعيشين فيه، اكسبي زوجك و أطيعيه...عشرات يتمنين لو كن مكانك...."[2]، بعد اكتشاف البطلة لخيانة زوجها لها، كانت الأم تحاول تهدئة ابنتها، و أوصتها بالتغاضي عما رأته و أن تتصرف بذكاء، و ألحت عليها بأن تعود إلى بيتها.

في قصة (عيناها) نجد الأم هي من حرمت ابنها من الزواج من ابنة عمه(آية)، حيث أخبرها ابنها بحبه لآية، حيث يقول السارد: " وفاتحت أمي بالموضوع...صرخت أمي ولطمت خديها انطلق قاموس البذاءة من بين شفتيها... كالت أبشع السباب و الشتائم لمونيكا النجسة وابنتها.. أقسمت أنها لن توافق على ها الزواج وأنها تفضل أن تراني ميتا أزف إلى قبري على أن تراني أزف إلى آية "[3]، وكل ذلك لأنها تكره أم آية، فهي تدعوها دائما بالفاجرة والكافرة وذات الملابس الفاضحة لأنها أجنبية.

الأم ترفض ما هو مخالف للعادات و التقاليد و العرف الاجتماعي، تكره أن يتزوج ابنها ممن لم تختارها هي أولا، لأن في العرف الاجتماعي الأم هي من تختار زوجة ابنها، ثم يوافق الابن على ما اختارته له أمه، مخالفة هذا الأمر يعني فقدان الأم السيطرة ومكانتها.

---

[1] المجموعة القصصية، ص ١٩

[2] المجموعة القصصية، ص٢٤

[3] المجموعة القصصية، ص ٢٤٤

وقد ترضخ الأم لاختيار ابنها، لكنها تظل تزدري زوجته لاستمرار، لقد كان هذا مضمون قصة (امرأة من عالم آخر)، فالأم تريد لابنها زوجة تليق بالعائلة، لأنها كما يقول السارد: " أخبرتها أنني رجل مسئول عن اختياراتي، ومن حقي أن أتزوج الفتاة التي تعجبني أنا...فبالنهاية أنا الذي سأعيش معها لا هم...لكن والدتي رفضت، تقول إن الزواج هو اتحاد بين عائلتين بالكامل، ويجب على هاتين العائلتين أن تكونا في نفس المستوى الاجتماعي...الزواج شركة رأسمالها التكافؤ"[١]، رضخت الأم لرغبة ابنها، لكنها كانت مهتمة بما سيقوله الناس، لذلك حرصت على أن مكان الحفل وفستان الزفاف وخبيرة الماكياج كل الأمور تحت إشرافها هي ؛ خوفا من كلام الناس، لكنها ظلت تحتقر زوجة ابنها باستمرار.

ثالثا: صورة الصديقة.

ظهرت صورة الصديقة في هذه المجموعة القصصية في قصص: (اعتداء)، و(عدوتي)، و(الواسطة)، و(صديقتي القديمة)، (سحر).

في قصة (صديقتي القديمة) نجد الساردة تفاجأت بطلب صداقة في برنامج (الفيس بوك) من صديقة قديمة لها، لكن الساردة ترفض طلب الصداقة، وتقول: " لكنني لا أستطيع استئناف علاقة انقطعت منذ سنين، أخاف على قلبي من حرج جديد، من هجر جديد، من ألم جديد.."[٢]، لقد اعتادت الساردة على الوحدة فهي ليست بحاجة، إليها فلماذا تذكرتها الآن بعد الفراق ؟

في قصة (اعتداء) نجد شذى صديقة البطلة السكرتيرة، التي عرفت بحب البطلة لمديرها،شارت عليها في البداية بتركه، وعندما أيقنت عجز البطلة عن القيام بذلك نصحتها باستمالته، يصور هذا الحوار:

" سألتها: وما الجدوى من ذلك ما دام متزوجا ؟

قالت لي: يمكنك أن تصبحي أيضا زوجته، الشرع حلل اتخاذ زوجة ثانية.

قلت لها: ماذا عن زوجته الأولى، أتراها تقبل بذلك ؟

---

[١] المجموعة القصصية، ص ١٧٤

[٢] المجموعة القصصية، ص ١١٨

قالت شذى: رأيها لا قيمة له، ليس لها حق بالاعتراض وإن أحبك الرجل فلن تستطيع زوجته أن تفعل شيئا حيال الأمر... وإذا طلبت منه الطلاق تكونين أنت الرابحة
قلت بخوف حقيقي: لكنها ستعذب، ستدعو علي...أخاف أن يصيبني أنا سوء.
قالت شذى: إذا تزوجك عبد الرحمن لا شيء سيحدث...إنه حلال.
قلت: لكنني سأكون قد اعتديت على مملكة امرأة أخرى، والله لا يحب المعتدين.
قالت شذى: ما دمت تحبينه وهو متزوج ومشاعرك ليس بيدك... والشرع حلل للرجل الزواج بأخرى، فلا حرج عليك فيما تفعلين!"[1] .

قامت (شذى) بوضع خطة مدروسة لجعل (عبد الرحمن) يقع في حب صديقتها السكرتيرة، ونجحت الخطة وتزوجها، وأشاعت خبر الزواج حتى تطلب زوجته الطلاق منه، لكن القدر كفأها على فعلتها، فقد تزوج زوج (شذى) عليها بالسر من سكرتيرته.

وفي قصة (عدوتي) تلاحظ الأم تمرد ابنتها عليها، فقد كانت البنت مطيعة، لكن منذ أن تعرفت على صديقتها (سحر) تبدلت طباع البنت، فقد أصبحت أكثر جرأة و ووقاحة مع أمها، تقول الساردة: " وعرفت أن سحر هي التي تقنع ابنتي وتحرضها على ارتداء هذه الثياب، بل وتختارها لها بنفسها...لم أرتح يوما لسحر، جسدها المثير والذي يعطيها عمرا أكبر من عمرها، ضحكتها المائعة، وشعرها القصير الذي تسرحه بطريقة غريبة... كانت من عائلة ثرية جدا... ولم أرتح لتعلق ابنتي بها...لكنني لم أتصور أنها سيؤثر عليها إلى هذه الدرجة "[2]، لقد استطاعت الأم بعد معاناة أن تستطيع التفريق بين ابنتها و صديقتها السيئة.

في قصة (الواسطة) نجد الساردة صديقة (هدى)، تتمتع الساردة بجمال يلفت الأنظار أينما حلت، بينما صديقتها (هدى) أقل منها جمالا، أنصدم الجميع من أن (محمد) الرجل الذي ينتمي من عائلة عريقة معجب بهدى، وأن يرغب بالزواج منها، وفي أثناء الخطبة ظهر خلاف بين محمد و هدى حول مكان السكن، فهدى ترفض السكن مع عائلته، وطلبت من الساردة التدخل، فتدخلت الساردة في هذا الموضوع، وأثمر تدخلها بفسخ الخطوبة، وتعلق محمد بالساردة، لتأتي نهاية القصة كما تقول الساردة: "سأختصر

[1] المجموعة القصصية،ص ٥٢
[2] المجموعة القصصية، ص ١٢٠

التفاصيل...فمع القليل من الأكاذيب و الإثارة المفتعلة... لم يتصل محمد بهدى كي يصالحها، ومع القليل من التأثير على هدى لم تتصل هي به لفترة... وعندما انهارت مقاومتها واتصلت كان محمد قد وقع تحت تأثيري تمام وتعلق بي... وقرر فسخ خطوبته منها، وأبلغها بقراره فجاءت تبكي على صدري"[1].

وطرحت القاصة تساؤلا في نهاية القصة بلسان الساردة يحمل انتقادا لغباء المرأة وسذاجتها بسماح للمرأة أخرى بتدخل بحياتها: " أتتساءلون أي نوع من النساء أنا ؟ لا تستغربوا فنوعي موجود...وكثير، أنا التي أتساءل أي نوع من النساء أنتن ؟ اللاتي تسمحن لأخريات باقتحام حياتكن ثم تبكين ندما؟!!"[2].

وصديقة الساردة في قصة (سحر) هي من شارت عليها بالذهاب لشيخ (سعد) ليكشف لها المستور، وحرضتها على القيام بالسحر، مما جعل الساردة تندم، لأن بفعلتها هذه خسرت حياة زوجها و خسرت آخرتها، فارتكابها هذا الإثم العظيم.

نجد أن صورة الصديقات في قصص (علياء الكاظمي) أشتركن في أنهن عامل الشر والتمرد، هن المحفزات على العصيان الأوامر، اللاتي يضمر الشر لصديقتهن، فجميعهن كان لهن تأثير سلبي على صديقتهن، من خلال تقديم النصائح الفاشلة.

لقد كانت صورة الصديقة سلبية، فأما أن يسند لها دور رئيسي، أو ثانوي لكنه يدفع بأحداث القصة إلى نهايتها، مما يعكس نظرة القاصة علياء الكاظمي حول الصداقة بين النساء، وأنها لا يمكن أن تكون حقيقية وصادقة ومثمرة، لأنها تخفي ورائها غيرة وحسد.

رابعا: صورة الابنة.

في قصة (الأسيرة) نجد البنت أسيرة لما تقوله لها أمها، فقد فرضت سيطرة تامة على قراراتها، تقول الساردة:" فعذاري تعجز عن اتخاذ أي قرار وحدها مهما كان تافها دون مشورة أمها، فكل ما تشتريه يجب أن تراه أمها..... كانت عذاري تقدس كل كلمة تخرج من فم أمها، حتى صديقاتها كانت أمها تنتقيهن لها، وبمجرد أن تعلن الأم أن فتاة

[1] المجموعة القصصية، ص ١٣١

[2] المجموعة القصصية، ص١٣١

معينة لا تروق لها تقطع عذاري علاقتها بها فورا.."[1]، لقد أصبحت البنت كالدمية بيد والدتها، فشل زوجها بسبب سيطرة الأم، فهي غير قادرة على اتخاذ أي قرار لم توافق عليه أمها.

نجد الابنة في قصة (من وراء العباءة) مطيعة لأفراد أسرتها، تصفها الساردة فتقول: " كانت الابنة الوحيدة بين ثلاثة أولاد، ورغم أنها عانت وتمنت لو أن لها أختا تؤنسها إلا أنها حمدت الله أيضا أنه لا توجد معها فتاة تعاني وتقاسي ما قاسته هي من والدها المتزمت... لقد فرض علها ارتداء الحجاب والعباءة منذ أكملت السابعة من عمرها، كانت بالكاد تخرج من البيت..... كان أخوها الأكبر نسخة من والدها بتسلطه وجبروته إلا أنها ارتاحت منه بعد زواجه وخروجه من البيت ليسكن في سكن مستقل وليحول زوجته إلى نسخة من أمه و أخته"[2].

لقد كان الأب شديد التحكم و السيطرة، تقدم لها عريس لأنه كان يشبه والدها، فخافت أن تعيش ما عاشته أمها، فرفضته، تقول الساردة: " ورحل عبدالعزيز...رحل بعده جاسم ومحمد وعبدالله، وبقيت أمينة تنتظر...لم تيأس...تريد فارسا يحقق لها رغبتها بالتحرر من العباءة التي ارتدتها مرغمة، تريد رجلا يسمح لها بالاختلاط بالناس، بتذوق الحياة، بأن تصبح شيئا، رجل لا يلغي كيانها و لا يرغمها على ما تريد... تريد رجلا لا يشبه أباها في شيء.."[3]

وهنا انتقاد لنظام الأبوي الذي يمارسه تسلطه، ويعرف هذا النظام بأنه النظام الذي تقتضي ثقافته بحمل السيطرة والسلطة بين أيدي كبير العائلة أو الجماعة القريبة، والاعتقاد بتفوق الرجل بدنيا واجتماعيا، وبانخفاض مركز المرأة[4]، حيث يشكل النظام الأبوي "البطريركي" بنية اجتماعية، تطبع العائلة والقبيلة والسلطة والمجتمع في العالم العربي، وتكون علاقة هرمية تراتبية، تقوم على التسلط حيث يعمل هذا النظام على بناء شخصية خاضعة، حيث يمثل الأب القوة والسلطة، والأم والأولاد الطاعة

[1] المجموعة القصصية، ص ٢٢٠

[2] المجموعة القصصية، ص ٢٠٧

[3] المجموعة القصصية، ص ٢١٢

[4] معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي (١٩٨٦)،، بيروت: مكتبة لبنان، ص٣٠٧

والخضوع، وحينما ينشأ الأولاد، يقوم الولد بتقليد الأب ومحاكاته وأخذ دوره في التسلط على أخته أولا، من ثم على عائلته بعد الزواج، وتقوم البنت بتقليد الأم وأخذ دورها الخاضع[1].

خامسا: صورة الحبيبة.

نجد هذه الصورة في قصة (مقارنة) والتي جاءت بصوت البطل، فهذا البطل يحب فاطمة، يصفها فيقول: " لم تكن فاطمة باهرة الجمال... كانت عادية...حنطية البشرة...عيناها متسعتان مدهشتان وكأن الدنيا تقدم لها مفاجأة مستمرة...شعرها بني خفيف يصل إلى أذنيها وتفرقه من المنتصف دائما...لكنها تملك سحرا لم أجده في أي فتاة أخرى...كانت رقيقة إلى درجة لا تصدق، صوتها رقيق كصوت طفلة...وخجولة إلى أقصى درجات الخجل...إنها ألطف امرأة عرفتها "[2].

ولأنه حبها من كل قلبه تقدم لخطبتها من والدها، وهنا تم الاصطدام بجدار العادات والتقاليد، لقد رفضت أسرتها هذا الزواج لاختلاف أصل العائلتين، حيث أن عائلة فاطمة أكثر عراقة و أصالة من عائلة السارد، طلب منها مخالفة عائلتها والهروب معه، لكنها رفضت ذلك، و زوجتها عائلتها من عائلة عريقة الأصل تناسب عائلتها.

تمر السنين ويظل على رفضه من الزواج لأنه يبحث عن زوجة تشبه فاطمة، تشاء الصدف أن يلتقي بفاطمة و قد تغيرت كثيرا، ما عادت تلك الفتاة التي أحبها، " أنها مجرد أم منهكة...عجبا...إن المرأة التي كنت أحبها لم تعد موجودة !! وجريت عائدا إلى البيت وبمجرد أن رأيت أمي توسلتها راجيا بأن تبحث لي عن عروس لا تشبه فاطمة "[3].

لقد ذهب هذا الحب بمجرد أن تغير شكل الحبيبة، أصبحت سمينة، وأم لأربعة أطفال، وكأن الحب الذي أوهمنا به السارد بأنه مبني على العاطفة الصادقة بعيدا على الشكل الخارجي، كان وهما، وأنه في حقيقته مبني على نظرة الرجل للمرأة على أنها جسد، متى ما تغير هذا الجسد تغير مشاعر، وفي القصة نقد لصورة المرأة قبل الزواج

[1] إبراهيم الحيدري (النظام الأبوي/البطريركي وتشكيل الشخصية العربية) الحوار المتمدن–العدد: ٣٨٨١ – ٢٠١٢ / ١٠ / ١٥

[2] المجموعة القصصية، ص ٣٨

[3] المجموعة القصصية، ٣٩

وبعده، وهنا النقد تم من خلال مقارنة شكل المرأة قبل الزواج و بعده،و أن المرأة بعد الزواج تتغير للأسوأ.

نجد بطلة قصة (نظرة أخرى) فتاة ثرية من عائلة عريقة، أغرمت بشاب من عائلة أقل، تم رفض زواجها منه لاختلاف المستوى، فقررت ترك (ثامر) استجابة لطلب والدها، فجن جنون ثامر فأصبح يطاردها باستمرار، تقول الساردة: " لقد رفض أن يترك أسماء في حالها...أصر على مواصلة علاقته بها... وبدأ يلاحقها في كل مكان...ثم بدأ يتهجم عليها..خافت منه، إنه شديد العصبية، مرعب وقت الغضب، وبقيت معه رغما عنها...إنه يرفض التخلي عنها، وكلما حاولت التهرب منه، وجدته لها بالمرصاد... ثم بدأ ثامر يهددها...إن لديه صورا كثيرة لها معه "[1]، لقد كان يبتزها باستمرار و يضربها، مما جعلها تقدم على قتله.

وهكذا نجد القاصة في صورة الحبيبة تعبر عن أن هذا الحب لم يكن سوى وهم، وأنه مبني على أن المرأة مجرد جسد لإشباع، وأن تغيير يحدث لهذا الجسد يتغير تبعا لذلك حب الرجل، أن الرجل لا يمكن له أن يتقبل فكرة أن المرأة هي من تتركه، لذلك يصبح وحش كاسر يرغب بتحطيمها، فقرار الانفصال لابد أن يصدر منه، وأنها لابد أن ترضخ لما يريده هو فقط.

[1] المجموعة القصصية، ٩٤

النتائج:

- تحمل القاصة سمات الكتابة النسوية، وذلك من خلال نقد الواقع المكبل لحرية المرأة في اتخاذ قراراتها، ورفض الهيمنة الذكورية على مفاصل حياة بطلاتها.
- كانت صورة الزوجة في المجموعة القصصية حزينة، وهذا مرجعه لعدم فهم الزوج لاحتياجات زوجته، وإلى الصورة النمطية للمرأة بأنها جسد لإشباع الرغبات، وتربية الأبناء.
- كانت صورة الزوجة الثانية في هذه المجموعة القصصية عبارة عن نزوة، لا يمكن لهذا الزواج الاستمرار لأنه في نظر القاصة اعتداء على حياة امرأة أخرى.
- لم تخرج صورة الأم عن صورتها التقليدية في هذه المجموعة القصصية، فهي التي توفر الحماية لأبنائها، وتدعو بناتها للحفاظ على استقرار زواجهن، والتغاضي عن عيوب الزوج، أما الأبناء فهي من يختار زوجاتهم.
- لقد جاءت صورة الصديقة في هذه المجموعة القصصية بصورة سلبية، كن عامل الشر في قصص من خلال تقديم نصائح خاطئة .
- جاءت صورة الابنة مكبلة بقيود تفرضها عليها الأسرة، الأب و الأم يمارسان سطوتهما عليها، فهي لا تستطيع الفكاك من قيود المفروضة عليها.
- نجد القاصة في صورة الحبيبة تعبر صراحة أن الحب مبني على الشكل الخارجي ليس سوى وهم، وأن الرجل لا يقبل فكرة تخلي المرأة عنه، وأن الانفصال يتم بقرارها، فانتهاء العلاقة مرهون به فقط، وأنها تابع له.

المصادر والمراجع:

- المجموعة القصصية (عيناها)، علياء فاضل الكاظمي،(٢٠١١)، دار الوطن:الكويت
- معجم تراجم أعضاء رابطة الأدباء الكويتيين، طلال الرميضي، الكويت: ذات السلاسل،(٢٠١٥).
- الفريح، هيفاء(٢٠٠٩)، تقنيات الوصف في القصة القصيرة السعودية١٤٠٠-١٤٢٠، بيروت الدار البيضاء: النادي الأدبي بالرياض و المركز الثقافي العربي، ط١.
- القصة والراوية، عزيزة مريدن (١٩٨٠) دمشق:دار الفكر.
- القصة القصيرة نظريا وتطبيقا، يوسف الشاروني (١٩٧٤) مصر:دار الهلال.
- العنف ضد المرأة، سهيلة محمود (٢٠٠٥) دار المعتز للنشر و التوزيع، عمان، الأردن.
- معجم المصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي (١٩٨٦)،، بيروت: مكتبة لبنان.
- إبراهيم الحيدري (النظام الأبوي/البطريركي وتشكيل الشخصية العربية) الحوار المتمدن-العدد: ٣٨٨١ - ٢٠١٢ / ١٠ / ١٥